يسوع حياتنا

رسالة للباحثين عن الحياة

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٥

www.coptology.org

– ١ –

من أجل المتألمين؛ لأنهم طلبوا الحياة من الذين لا حياة فيهم، فقد تنازلوا عن النعمة الغنية، فصاروا تلاميذاً لموسى

المسيح هو رأس الجسد الكنيسة (كولوسي ٢: ١٩)، والذين يجعلون من أنفسهم رأساً بديلاً عن "الرأس"، هم أولئك المعلمون الكذبة الذين حوَّلوا الكهنوت من خدمة ونعمة إلى سلطان وسيادة، جعلت واحداً منهم يصف نفسه بأنه "الرجل الحديدي"، وليس "الإنسان في المسيح".

يا مَن تقرأ هذه السطور، إن كنت تبحث عن الحياة، فليس لك حياة إلاّ في الذي قال: "أنا الحياة".

الطقوس هي تعليمٌ كنسي، وليس حركات جسدانية. تعليمٌ يؤكد اتحادنا بالرب ابتداءً من رشم الصليب، وهو "حزام الاتحاد بالمصلوب لأجلنا"، إلى صلوات الجنازات، عندما نرقد ووجهنا شرقاً، ليس ناحية النور فقط، بل ناحية تحولنا بالاعتراف بالرب في سر المعمودية بعد أن جحدنا الشيطان منتظرين أن يكمل موتنا الجسداني قوة المعمودية التي وحدتنا بالرب.

-٢-

ما هي هذه الدعوة؟

ليست هذه دعوة إلى ترك أو الانفصال عن الكنيسة أُمُّ الشهداء بل هي دعوة للعودة إلى أساس الحياة وجذره، يسوع رب الحياة.

-٣-

أنت حيٌّ

أنت حيٌّ بقوة الذي قال: "أنا الحياة". تصلي أُمُّ الشهداء في الأوشية: "ولا يقوى علينا موت الخطية"؛ لأن موت الخطية أُبيد بموت الرب وقيامته، لذلك أنت لا تحتاج لقس أو أسقف أو بطريرك أو واعظ ليكون الوسيط بينك وبين الرب مخلصك الوحيد.

لقد أخذتَ هذه الحياة في سر المعمودية كبذرة أبدية غير قابلة للموت. ولكنك أُصِبتَ بالنسيان، ونسيت القوة والحياة التي أخذتها، بل نسيت أنك مُسحت بذات مسحة يسوع (١يوحنا ٢: ٢٧) التي ينكرها بعض الإكليروس اليوم ويدَّعون كذباً أنك أخذتَ مواهب فقط وليس الروح القدس المعزِّي الملك السمائي، الذي نعود إليه عندما نصلي قطع الساعة الثالثة.

الآباء الكهنة خُدَّام النعمة وليسوا مصدراً لها. لا تصدق هذه الكذبة والتعليم الشيطاني الذائع في وسطنا بأن "أبونا هو مصدر النعمة". النعمة من الواهب يسوع المسيح، وهو الذي يعطي كهنوته لهؤلاء لكي يصبحوا خُدَّاماً.

عندما فقدنا الصلة بالرأس يسوع رب الحياة؛ حلَّ الأسقف أو القس أو الخادم محل يسوع، فدخل الكذب والقهر والتسلط، وغابت المحبة؛ لأن مصدر المحبة وينبوعها الوحيد هو الثالوث القدوس.

الآن أَفِق وافتح عينيك قبل أن تقتلك برودة الحياة ... يسوع هو حياتك.

– ٤ –

الثالوث هو الذي يخدمنا، ونحن لا نخدمه

فَتَحَ الثالوثُ أحضانه الإلهية عندما جاء الابن الوحيد "الكائن في حضنه الأبدي كل حين" (قسمة صوم الميلاد)، وجَعَلَنا أبناء للآب فيه عندما "وحَّد إنسانيتنا بأُلوهيته". لكن معلمي الكذب ينكرون علينا نعمة التبني، تلك النعمة الأبدية التي تحفظنا للأبد في شركة أبدية مع الآب والابن والروح القدس. هؤلاء الكذبة –بلسان الشيطان نفسه– يسألون: هل أنت وُلِدتَ من جوهر اللاهوت مثل الابن؟ ويحتار غير الثابتين في الإيمان.

طبعاً، لم يتفوه أحد بهذه الكذبة الشنيعة، بل هي مثل كذبة الشيطان في الفردوس "أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة" (تك ٣: ١)، لكي يقود المرأة إلى الفخ: "من ثمر الجنة تأكل"، ثم تضيف حواء: "أما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا" (تك ٣: ٢–٣)، ويقود الشيطان المرأة

بالنفي: "لن تموتا" (٣: ٣). فعلى نفس المنوال يتساءلون: أحقاً أنت مولود من جوهر الآب، أو من جوهر اللاهوت؟ لا، بل أنا مولود في المسيح. وتجيء الخدعة والكذبة: ولكن المسيح وحده هو ابن الله الوحيد، أمَّا أنت فخاطئ وخائن .. الخ آخر الكلمات والأوصاف التي تضرب على وتر الشعور بالذنب. وقد يجد من استنار بالروح رداً ليقول: ولكنني أنا مثل ما حدث لناسوت الرب. ولكن الشيطان يقول: "أبداً، ما حدث لناسوت الرب هو خاص بالرب يسوع وحده". وهنا تدق الحيرة والخوف، ونسمع صوت الشيطان على لسان واحد كبير منهم يقول: إهانة أُلوهية الرب هي إما أن نجعل الرب إنساناً مساوياً لنا، أو نجعل البشر آلهة مساويين للرب". ونسى هذا الكبير أن أُمَّ الشهداء تعلِّمنا أن نرتل: "أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له"، ونسى أن الابن تنازل وأخذ الناسوت ..

لا. هو لم ينسَ. هو يكذب لكي يجرِّدك من نعمة التبني.

الثالوث يخدمنا؛ لأن الابن جاء إلينا مثل "الراعي الصالح"، أو كما نقول: "كأب حقيقي تعبت معي أنا الذي سقط" (القداس الغريغوري)، وهي صدى لمَثَل الابن الضال.

"ربطتني بكل الأدوية (الشافية) المؤدية للحياة (عليك عزيزي القارئ أن تلاحظ أن العقوبات قد حلَّت محل هذه الأدوية).

وأيضاً: "أنت خدمت لي الخلاص لما خالفت شريعتك أو ناموسك"، ولكن تلك الخدمة تحولت إلى اعتداء الآب على الابن الوحيد لدرجة أن الكبير منهم يقول إنه "احترق في نار العدل الإلهي وتحول إلى رماد"، وبذلك ينكر هذا الكبير أن الرب "بموته أباد الموت"، بل يعلِّم بأنه وقع هو نفسه تحت حكم الدينونة وحكم عليه الآب بالموت، بينما هو جاء لكي يقبل موتنا بالإرادة الحرة لكي يميت الموت، فهو له سلطان أن يضع حياته (يوحنا ٢: ١٨).

ويقوم الرب من الأموات لكي يعطي لنا نحن القيامة كما أعطانا التحرر من سلطان الموت. يقوم لكي يخدم كل نفس على النحو الذي أشار إليه في رسائله للكنائس السبع في سفر الرؤيا.

ويرسل الابن الوحيد الروح القدس من عند الآب لكي يكون المرشد والمُعلِّم لأنه "مالئ الكل" وواهب الخيرات لكي يحل فينا حلولاً لكي يكون لنا فيه حياة وافرة (يوحنا ١٠: ١٠)، ولكي نعود إلى الرب الذي جاء لكي "يجمع ابناء الله المتفرقين إلى واحد" (يوحنا ١١: ٥٢).

لقد مات على الصليب كما قال هو له المجد لكي لا يبقى وحده، بل مثل حبة الحنطة مات لكي يأتي بثمر كثير" (يوحنا ١٢: ٢٤)، وهو لذلك النور الحقيقي الذي نطلبه في صلاة باكر؛ لأن كل من يتبعه "لا يمكث في الظلمة" (يوحنا ١٢: ٤٦)، وهو لا زال يغسل أقذار حياتنا، أي تلك المعوقات التي تمنع عنا محبته؛ لأنه أعلن في صراحة واضحة: "أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلَّا بي" (يوحنا ١٣: ٦). ولم يتركنا لبحار الفكر، بل أعطانا "المعزِّي الآخر روح الحق لكي يمكث معنا ويكون فينا إلى الأبد" (يوحنا ١٤: ١٧).

هل بعد كل هذا، أنت في حاجة إلى وسيط؟ ألا تعرف أنك بهذه الحاجة تنكر الرب يسوع عن جهل؟ هل تريد مخلصاً آخر غير يسوع؟

—٥—

سلطانٌ مزيَّفٌ يجزِّئ كلمات الرب يسوع ودعوته

آه من الجهل الذي قطع كلمات من إرسالية الرب للتلاميذ للكرازة "مَن غفرتم خطاياه تغفر له. ومَن أمسكتم خطاياه أُمسكت" (يوحنا ٢٠: ٢٣).

والذي حُذِف أيها المخدوع هو: "كما أرسلني الآب أرسلكم أنا"، فهل كانت إرسالية المسيح قوة وسلطان، أم خدمة؟

ثم: "اقبلوا الروح القدس". كان الروح هو الذي مسح يسوع، فصار "المسيح" الذي مُسح بالروح القدس "مسحه الله بالروح القدس والقوة الذي جال يصنع خيراً ويشفي المتسلط عليهم إبليس .." (أع ١٠: ٣٨)، فهو لم يُمسح ليكون رجلاً حديدياً، بل رجل أوجاع حمل أوجاعنا لكي يشفيها ... عجباً.

هل وردت كلمة سلطان في عبارة أو كلمات الرب؟

بل: "اقبلوا الروح القدس. مَن غفرتم خطاياه تغفر له...".

وهكذا شرح القديس كيرلس السكندري[١] هذه العبارة الربانية بأن الآباء الرسل أخذوا نعمة الروح القدس لكي يعطوا الولادة الجديدة في المعمودية لمن يعود إلى الرب ويمنعوا هذه النعمة عن الذي لم يتطهر، ولذلك جاءت الكلمات: "أمسكتم خطاياه أُمسكت". يا للعار كيف يمسك إنسان خطايا آخر، وهو يردد في الصلاة الربانية: "اغفر لنا خطايانا كما نغفر نحن لمن أخطأ إلينا"، أو حسب القبطية: "اترك لنا ما علينا"، فكيف يمسك إنسانٌ على إنسانٍ آخر خطاياه أو خطية إلَّا إذا كانت الارتداد أو إنكار الرب يسوع.

هل وردت كلمة سلطان في صلاة التحليل القبطية الأرثوذكسية؟ أبداً، بل "أنعمت للذين يعملون في الكهنوت أن يحلوا ويربطوا ..". ثم تأمل، يضع القس أو الأسقف نفسه مع الخطاة عندما يعطي صلاة التحليل وليس سلطان التحليل. استعلان فك رباطات الخطية التي يعملها الروح القدس؛ لأن الرب قال "اقبلوا الروح القدس". بل تؤكد صلاة تحليل أخرى: "ليكن عبيدك محاللين من فمي بروحك القدوس"، فأي سلطان أيها الخائر العزم المرتعش الركبتين الخائف لأنك آمنت بالرب القاسي الذي صَلَبَ الابن، بينما الحق هو أن الابن نزل إلينا إلى ذات حفرة الموت لكي يرفعنا إلى حياة عدم الموت.

---

(١) حارب بعض الأساقفة شرح انجيل يوحنا بكل دهاء وكذب. راجع الترجمة العربية تعريب د. جورج حبيب بباوي.

اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات (يع ٥: ١٦):

الاعتراف لكل مَن أخطأنا ضده هو تعليم الرب نفسه. كم مرة -يسأل بطرس- يخطئ إليَّ أخي وأنا أغفر له. هل إلى سبع مرات (٧ رقم الكمال) قال يسوع لا أقول لك إلى سبع مرات، بل إلى سبعين مرة سبع مرات. (مت ١٨: ٢١-٢٣).

قبل هذه المواجهة يقول الرب: إن أخطأ إليك أخوك، فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما (الرب لا يحب التشهير بالخطية) إن سمع منك، (ماذا سيسمع؟ تعليم الرب عن الغفران وترك الإساءة)، فقد ربحت أخاك. إن لم يسمع منك خذ معك اثنين أو ثلاثة لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة" شهود على رفض المصالحة.

إن لم يسمع منك فقل للكنيسة ..

إن لم يسمع من الكنيسة، "فليكن عندك كالوثني والعشار". لا يعني ذلك أن يكون مرفوضاً؛ لأن الرب علَّم بمحبة الأعداء قبل ذلك في العظة على الجبل، ولكن يعامَل بمحبة مَن ليس له شركة في الأسرار، رغم أنه أخٌ؛ لأنه رفض الغفران، وهو ضد صرامة قول الرب القاطع: "إن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم السماوي زلاتكم" (مت ٦: ١٤-١٥).

وبعد ذلك يقول الرب: "كل ما تربطونه على الأرض (لا توجد إشارة للسلطان، بل تعليم صريح عن ممارسة المحبة والغفران) وكل ما تحلونه على الأرض .. مؤكداً أنه حاضر إذا اتفق اثنان منكم على الأرض .. حضور الغفران لمن قَبِلَ، وحضور إدانة لمن لم يقبل الغفران.

في هذا الإطار يجب أن نفهم أن الاعتراف هو مصالحة الكنيسة، ومصالحة كل عضو مع كل عضو آخر، حسب تعليم الرب نفسه، لا حسب ما ساد بعد ذلك في العصر الوسيط.

وفي نفس الإطار، يرتِّب رسول المسيح يعقوب حياة الكنيسة: "أعلى أحدٌ بينكم مشقات فليصلي ..... أمسرور أحد فليرتل ... أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الايمان تشفي المريض والرب يقيمه". والشفاء ظاهر بالشفاء، وبالتالي من شفاء الخطية؛ لأن الرب كان يقول

للمرضى: "مغفورة لك خطاياك"، فهو "حِلٌّ رباني" للشفاء، ولذلك: "إن كان قد فعل خطية تغفر له" (يع ٥: ١٣-١٥). وقد يكون في هذا اعترافٌ بالخطايا؛ لأن بعدها مباشرةً: "اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات"، وهو ما ورد في الصلاة الربانية "وصلُّوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا" (يع ٥: ١٦). هذا ليس سر الاعتراف حسب ممارسة العصر الوسيط، بل مصالحة وشفاء.

أخيراً، يا مَن خُدعت بالسلطان، هل مَن يصلي له سلطان؟

إذا كان له سلطان، فلماذا يطلب في الصلاة ما يملكه؟ ولكن، لأنه لا يوجد سلطان، بل نعمة وخدمة، لذلك يصلي كل أمين على خدمة الكهنوت لكي يعمل الرب.